السلسلة التاريخية

الإسْكَنْدَرُ الأكْبَرُ





عمليّات الإسكندر الحربيّة
طريق الاسكندر
الطرق التي سار عليها جنرالاته
مقدونيا
البحر الأسود
أثينا
غوردويوم
طرسوس
البحر الابيض المتوسط
صور
دمشق
الاسكندرية
سيوة
(واحة)
مصر
بابل
اكباتانا
شبه الجزيرة العربية
الامبراطورية الفارسية
بحر آرال
سوغديانا
باكتريا
افغانستان
پارثيا
درانجيانا
برسيبولس
كرمانيا
الخليج العربي
الهند
باتالا
كراتشي
البحر العربي

إنَّ الإسْكَنْدَرَ الأكْبَرَ ، الّذي عاشَ مُنْذُ أكْثَرَ مِنْ ألْفَيْ عامٍ ، لَمْ يَكُنْ قائِداً عَسْكَرِيّاً انْتَصَرَ على جَميعِ بِلادِ العالَمِ المَعْروفَةِ آنذاك فَحَسْبُ ، بَلْ كانَ رَجُلاً حَكيماً وحاكِماً عادِلاً .

وهذِهِ قِصَّةُ حَياتِهِ .

طبع في انكلترا
١٩٨٠

الإسْكَنْدَرُ الأكْبَرُ



بقلم : ل. دو غارد پيتش
نقله إلى العربية : محمد العدناني
وضع الرسوم : جون كيني

مكتبة لبنان



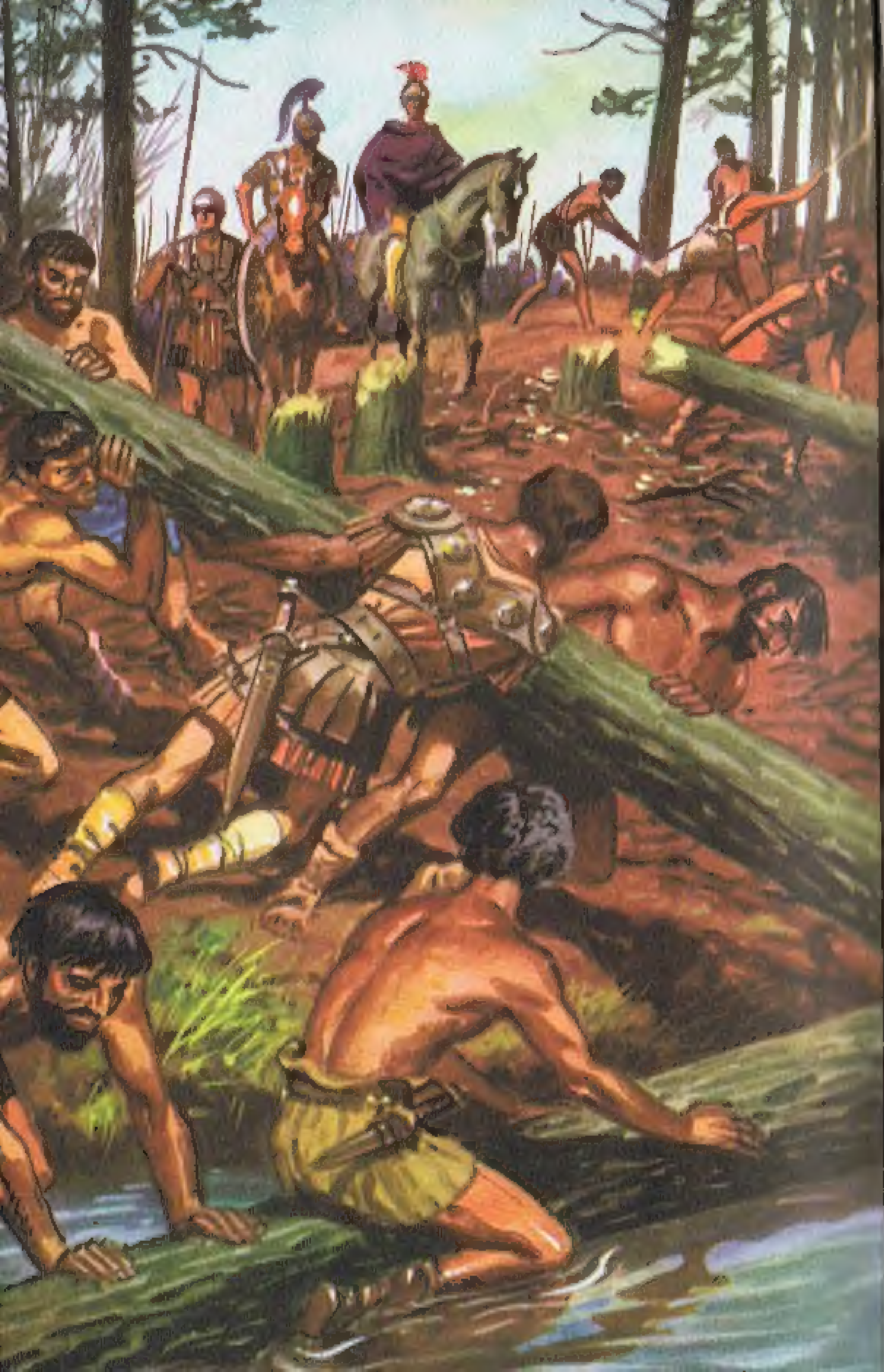
الإسكَندرُ الأكبرُ

وُلِدَ الإسْكَنْدرُ المَقْدونيُّ عامَ ٣٥٦ قبلَ الميلادِ ، قبلَ أكثرَ مِنْ ألفَيْ سنَةٍ . وقدْ عُرِفَ باسْمِ **الإسْكَنْدرِ الأكبرِ** ، لِأنَّهُ كانَ واحِدًا مِنْ أعظَمِ القادَةِ العَسْكَرِيِّينَ الّذينَ عَرَفَهُمُ العالَمُ ، إضافَةً إلى أنَّهُ كانَ رَجُلًا حَكيمًا وحاكِمًا عادِلًا .

وعِنْدَما كانَ الإسْكَنْدرُ صَبِيًّا ، استَقْدَمَ لَهُ أبوهُ المَلِكُ فيليبُ المَقدونيُّ الفَيْلَسوفَ الإغْريقِيَّ أرِسطو لِيَكُونَ مُؤَدِّبًا لَهُ ، فكانَ تَعْليمُهُ هُوَ الّذي أثَّرَ في الإسْكَنْدرِ حَياتَه كلَّها .

كانَتِ البِلادُ الّتي تُسَمّى الآنَ اليونانَ ، مُقَسَّمَةً في تِلْكَ الأيّامِ إلى عَدَدٍ مِنَ المَمالِكِ الصَّغيرَةِ . وقَدْ أيقَنَ أبو الإسْكَنْدرِ ، المَلِكُ فيليبُ ، أنَّ تَوْحيدَ تِلْكَ المَمالِكِ سيَجْعَلُها قَوِيَّةً إلى دَرَجَةٍ تُمَكِّنُها مِنْ مُقاوَمَةِ الفُرْسِ ، الّذينَ كانُوا يُهَدِّدُونَها مِنَ الشَّرْقِ . وافَقَتْ بَعْضُ الوِلاياتِ الإغْريقِيَّةِ عَلَى رَأْيِ فيليبَ ، ولكِنَّ بَعْضَها الآخَرَ قاوَمَ ذلِكَ الرَّأيَ ، مِمّا جَعَلَ فيليبَ مُضْطَرًّا إلى إرْسالِ حَمَلاتٍ عَسْكَرِيَّةٍ إلى الوِلاياتِ المُقاوِمَةِ .

فَفي إحْدى هذِهِ الحَمَلاتِ ، عُيِّنَ الإسْكَنْدرُ ، وهُوَ في الثّامِنَةَ عَشْرَةَ مِنْ عُمْرِهِ ، قائِدًا عَلَى جَناحِ الجَيْشِ الأيْسَرِ . وفي مَعْرَكَةٍ حُطِّمَتْ فيها قُوى ثيبَةَ ، إحْدى الوِلاياتِ الإغْريقِيَّةِ ، أبْلَى الإسْكَنْدرُ بَلاءً حَسَنًا بِشَجاعَتِهِ وحُسْنِ إدارَتِهِ لِلْمَعْرَكَةِ .



عِنْدَما أَصْبَحَ الإِسْكَنْدَرُ في العِشْرينَ مِنْ عُمْرِهِ ، قُتِلَ أَبوهُ المَلِكُ فيليبُ غيلَةً . فحاوَلَتِ الوِلاياتُ اليُونانيَّةُ ، الَّتي وَحَّدَها فيليبُ في حِلْفِ كورِنْث ، أَنْ تَنْفَصِلَ فورًا ، ظانَّةً أَنَّ المَلِكَ الشّابَّ سَيَكُونُ أَضْعَفَ مِنْ أَنْ يَحُولَ دُونَ انفِصالِها . كانُوا مُخْطِئينَ .

تُوِّجَ الإِسْكَنْدَرُ مَلِكًا عَلَى مَقْدُونيا بِتَأْييدِ أَحَدِ جنرالاتِ أَبيهِ ، الَّذي يُسَمَّى أَنْتيباتر ، وأَسْرَعَ بَعْدَ ذلِكَ في اَستِعادَةِ السَّيْطَرَةِ عَلَى الوِلاياتِ الإِغْريقيَّةِ . فاَتَّجَهَ جَنُوبًا عَلَى رَأْسِ جَيْشٍ مَقْدُونِيٍّ عَظيمٍ ، حَمَلَتْ رُؤْيَتُهُ الإِغْريقَ عَلَى اَنْتِخابِ الإِسْكَنْدَرِ قائِدًا عَلَى حِلْفِ كُورِنْث خَلَفًا لِأَبيهِ .

وفي هذِهِ الأَثْناءِ هَدَّدَتْ حُدُودَ الإِسْكَنْدَرِ الشَّمالِيَّةَ القَبائِلُ المُقيمَةُ شَمالَ مَقْدونْيا ، فيما يُسَمَّى الآنَ بُلْغاريا . فقامَ الإِسْكَنْدَرُ بِحَمْلَةٍ سَريعَةٍ ، بَلَغَ فيها الدّانُوبَ ، وتَغَلَّبَ عَلَى قَبيلَةِ تْريبِلّي . ولكِنَّ رِجالَ القَبيلَةِ كانُوا قَدْ أَرْسَلُوا نِساءَهُمْ وأَولادَهُمْ إِلَى ضَفَّةِ النَّهْرِ الأُخْرَى ، ثُمَّ اَنْضَمَّ إِلَيْهِمُ الَّذينَ نَجَوْا مِنَ المَعْرَكَةِ . وهُناكَ تَحَدَّوْا الإِسْكَنْدَرَ بِمُساعَدَةِ القَبائِلِ المُقيمَةِ عَلَى الضَّفَّةِ الثّانِيَةِ .

اِسْتَطاعَ الإِسْكَنْدَرُ أَنْ يَنْقُلَ أَكْثَرَ مِنْ ٥,٠٠٠ رَجُلٍ عَبْرَ نَهْرِ الدّانُوب عَلَى أَطْوافٍ (الطَّوْفُ : خَشَبٌ يُشَدُّ بَعْضُهُ إِلَى بَعْضٍ ، ويُرْكَبُ في النَّهْرِ أَوِ البَحْرِ) أَمَرَ رِجالَهُ بِصُنْعِها . واستَطاعَ بِسُهُولَةٍ تَشْتيتَ شَمْلِ مَنْ بَقِيَ مِنْ رِجالِ القَبائِلِ .

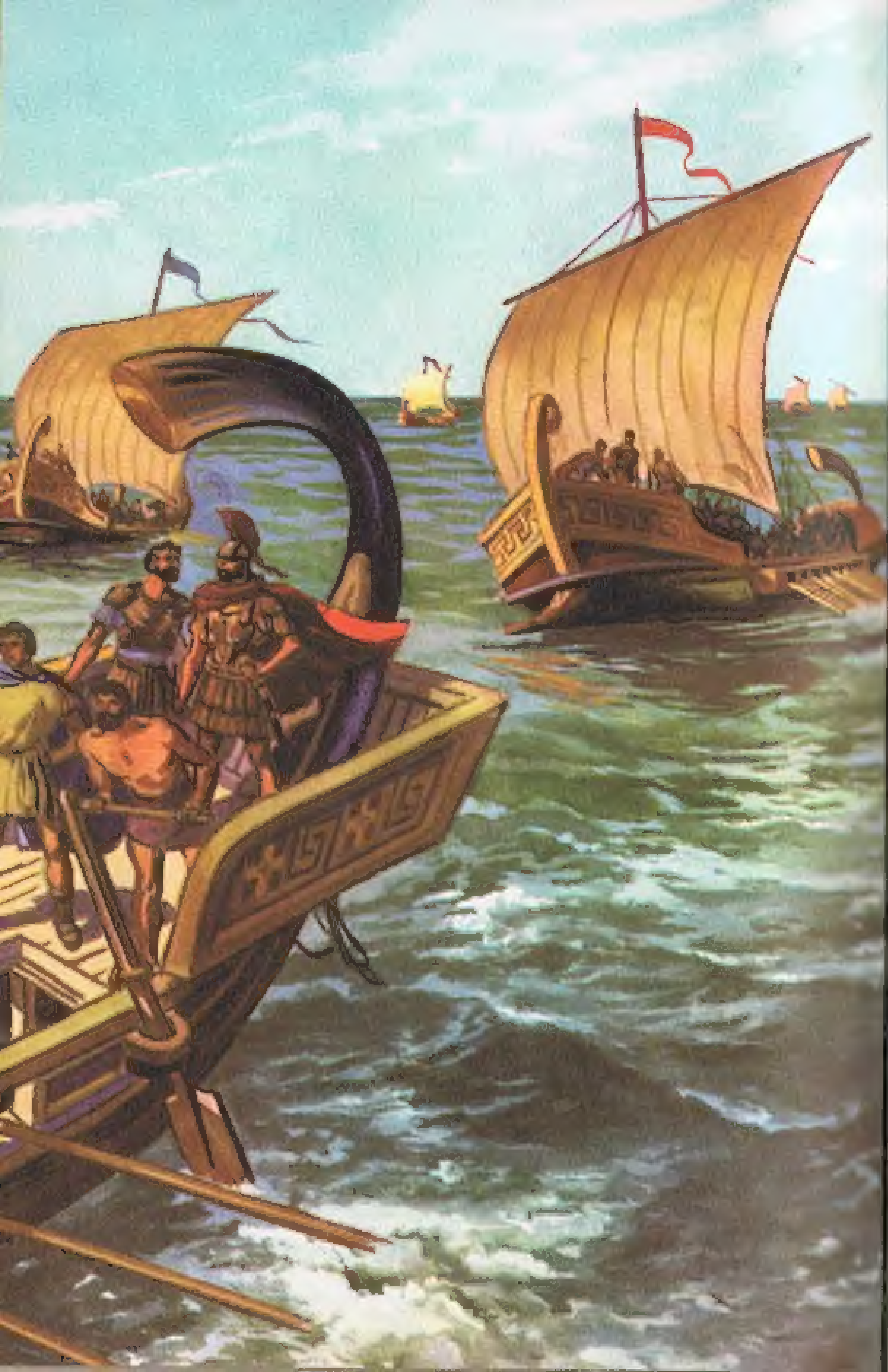


راجَتْ إشاعةٌ تَقُولُ إنَّ الإسْكَنْدَرَ قُتِلَ في الدّانُوبِ ، فَجعَلَتْ تِلْكَ الإشاعةُ الوِلاياتِ الإغْريقِيَّةَ تَثُورُ مَرَّةً ثانِيَةً .

فَلَمْ يَتَرَدَّدِ الإسْكَنْدَرُ ، إذْ جَمَعَ جَيْشَهُ ، وزَحَفَ بِهِ جَنُوبًا مَرَّةً أُخْرَى . وفي أَثْناءِ زَحْفِهِ ، عَلِمَ أَنَّ كِسْرَى ، مَلِكَ الفُرْسِ ، كانَ يُزَوِّدُ الوِلاياتِ الإغْريقِيَّةَ بالسِّلاحِ والمالِ . وَصَلَ في أَرْبَعَةَ عَشَرَ يَوْمًا بَلْدَةَ ثِيبَةَ ، الّتي كانَتِ البادِئَةَ بالثَّوْرَةِ عَلَيْهِ .

فانْتَظَرَتِ الوِلاياتُ الإغْرِيقِيَّةُ ، ومِنْ بَيْنِها أَثينا وإسبارطةُ ، ما سَيَجْرِي لِثِيبَةَ . وتَوَقَّعَ الإسْكَنْدَرُ أَنْ تَسْتَسْلِمَ ثِيبَةُ ، ولكِنَّهُ كانَ مُسْتَعِدًّا لِمُهاجَمَتِها إذا لَمْ تَفْعَلْ . ولكِنَّ الثِّيبِيِّينَ رَفَضُوا الاسْتِسْلامَ ، وخَرَجُوا لِمُلاقاةِ جَيْشِ الإسْكَنْدَرِ ، فَهُزِمُوا هَزِيمَةً مُنْكَرَةً . ودَخَلَ المَقْدُونِيّونَ البَلْدَةَ مَعَ الهارِبِينَ .

اِعْتادَ الإسْكَنْدَرُ أَنْ يَكُونَ رَحِيمًا مَعَ الّذينَ يَهْزِمُهُمْ ، مُفَضِّلًا الإبْقاءَ عَلَى البَلْدَةِ وسُكّانِها . ولكِنَّ أَعْضاءَ حِلْفِ كورِنْثَ الآخَرِينَ ، الّذِينَ كانُوا يَغارُونَ مِنْ ثِيبَةَ ، كانَ لَهُمْ رَأْيٌ آخَرُ ، فَأَقْنَعُوا الإسْكَنْدَرَ بِأَنْ يَجْعَلَ مِنْ تِلْكَ البَلْدَةِ دَرْسًا لِلْمُتَمَرِّدِينَ . فَهُدِمَتْ ثِيبَةُ تَهْدِيمًا تامًّا ، ولَمْ يَبْقَ فيها سِوَى المَعابِدِ ، والبَيْتِ الّذي عاشَ فيهِ الشّاعِرُ الإغْريقِيُّ الشَّهيرُ بِندارُ ، قَبْلَ مِئَةِ عامٍ . وهَرَبَ بَعْضُ الثِّيبِيِّينَ إلَى أَثينا ، ولكِنَّ ثَمانِيَةَ آلافٍ مِنْهُمْ بِيعُوا عَبِيدًا .



أصْبحَ الإسْكَنْدَرُ الآنَ زعيمَ الوِلاياتِ الإغْريقيَّةِ دُونَ مُنازِعٍ ، فَقرَّرَ تَنفيذَ خُطَّةِ أبيهِ : غَزْوِ فارِسَ .

كانَ لَدَيْهِ سَبَبانِ لِاتِّخاذِ ذلِكَ القَرارِ . أوَّلُهما أنَّ مَلِكَ الفُرْسِ داريوسَ كانَ قَدْ ساعَدَ الوِلاياتِ الإغْريقيَّةَ عَلى الثَّوْرةِ عَلَيْهِ ، ولَمْ يَكُنِ الإسْكَنْدَرُ يَجْهَلُ أنَّ داريوسَ كانَ يَتَحَيَّنُ الفُرْصَةَ لِكَيْ يُهاجِمَهُ علانِيَةً . أمّا السَّبَبُ الثّاني فَإنَّهُ يَعُودُ إلى ما قَبْلَ قَرْنٍ وَنِصْفٍ مِنَ الزَّمانِ . فَفي عامِ ٤٨٠ قَبْلَ الميلادِ ، كانَ مَلِكُ الفُرْسِ زيرُكسيز قَـدْ غَزا مقدونيا والْيونانَ ، وأحْرَقَ مدينَةَ أثينا .

ومُنْذُ ذلِكَ التّاريخِ راحَ الإغْريقُ يُخَطِّطُونَ لِأخْذِ الثَّأْرِ ، وأصْبَحَ الإسْكَنْدَرُ الآنَ قادِرًا عَلى أنْ يَقُودَ جَيْشًا عَظيمًا مِنَ الإغْريقِ والمقدونيّينَ . عَبَرَ الدَّرْدَنيلَ بِجَيْشٍ قِوامُهُ ٣٥,٠٠٠ رَجُلٍ ، مُسَلَّحينَ بالمَزاريقِ (الرِّماحِ القَصيرَةِ) ، والأقْواسِ الَّتي تَرْمي النِّبالَ ، والرِّماحِ الَّتي طولُ الواحِدِ مِنْها أرْبَعَ عشرةَ قَدَمًا . وكانَتِ الرّاياتُ تُرَفْرِفُ عَلى صَواري سُفُنِهِ المَصْبوغَةِ بِألوانٍ زاهِيَةٍ .

كانَتْ خُطَّةُ الفُرْسِ التَّقَهْقُرَ أمامَ الإسْكَنْدَرِ ، وإتْلافَ كُلِّ شَيْءٍ يُمْكِنُ أنْ يَكُونَ مُفيدًا ، إلى أنْ يَتَمَكَّنَ داريوسُ مِنْ حَشْدِ جَيْشٍ قَوِيٍّ قادِرٍ عَلى مُحارَبَتِهِ . وبَيْنَما كانَ الفُرْسُ يَتَقَهْقَرُونَ ، استَطاعَ الإسْكَنْدَرُ أنْ يَهْزِمَ القُوى الصَّغيرَةَ الّتي التَقاها ، وحاصَرَ بِنَجاحٍ بَلْدَةَ هاليكارناسّسَ ، الّتي تُسَمّى اليَوْمَ بُدْرُومَ . وهذا جَعَلَ الإسْكَنْدَرَ يُسَيْطِرُ عَلى الشّاطِئِ الآسيويِّ المُقابِلِ لِبِلادِ اليُونانِ .

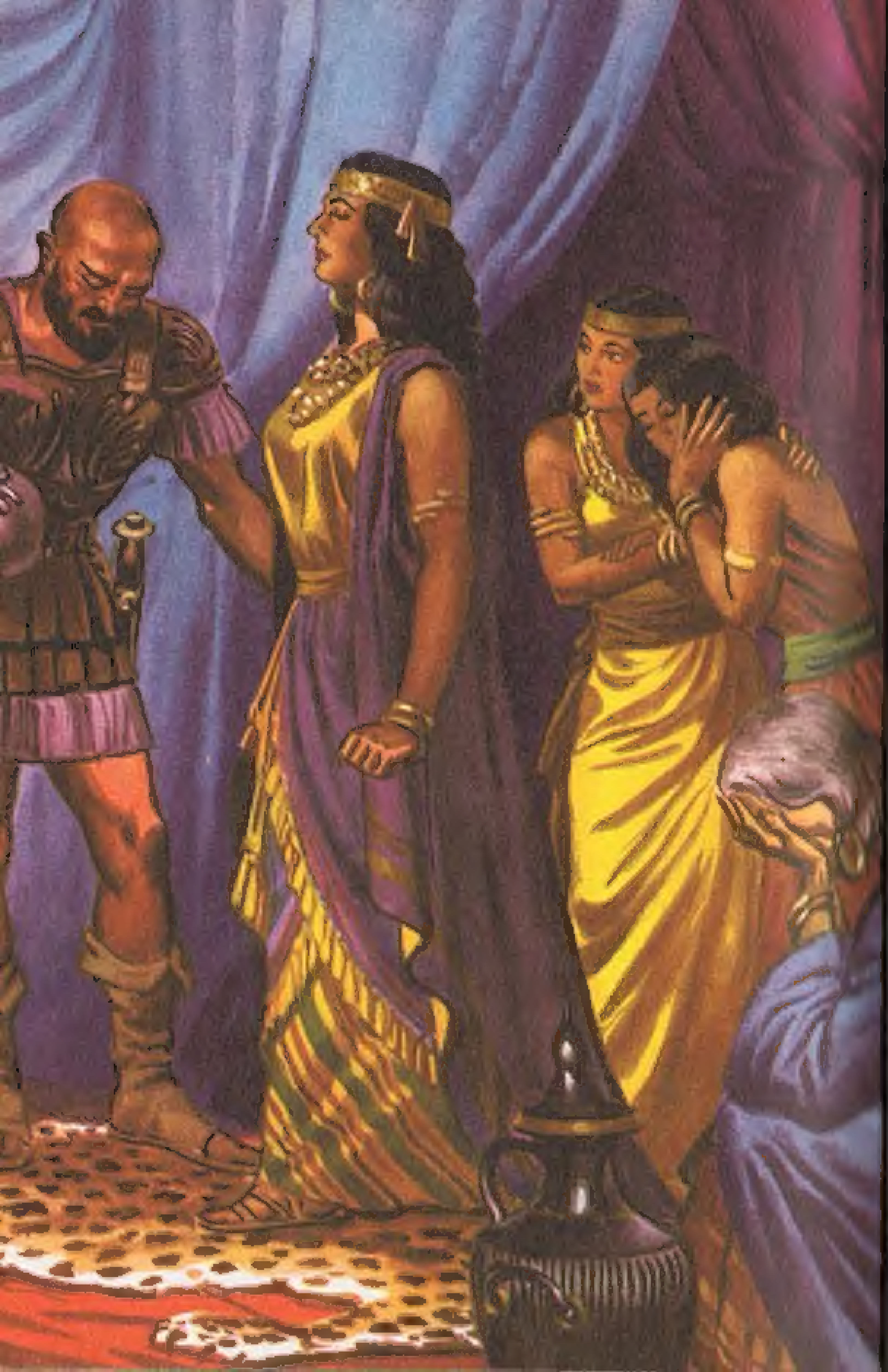


اتَّجهَ الإسْكَنْدَرُ مِنَ الشاطِئِ نَحْوَ الشَّمالِ ، شاقًّا طَريقَهُ عَبْرَ القَبائِلِ فيما يُكَوِّنُ تُرْكِيّا الآنَ ، إلى بَلْدَةٍ تُسَمَّى غورديومَ . وهُنا قامَ بِعَمَلٍ ، لا يَزالُ النّاسُ يَذْكُرونَهُ إلى هذا الوَقْتِ ، وأَصْبَحَ مَجازًا في عِلْمِ البَيان .

تَقولُ الأُسْطورَةُ إنَّ الإِلَهَ الإغْريقِيَّ زِيُوسَ أَعْلَنَ أَنَّ أَوَّلَ رَجُلٍ يَدْخُلُ مَعْبَدَهُ في عَرَبَةٍ ، يَجِبُ أَنْ يُصْبِحَ مَلِكًا . وعِنْدَما دَخَلَ في أَحَدِ الأَيّامِ مَعْبَدَ زِيُوسَ فَلّاحٌ في عَرَبَتِهِ يُسَمَّى غورديوسَ ، تَوَّجَهُ مُواطِنوهُ عَلَيْهِمْ مَلِكًا ، فَأَنْشَأَ بَلْدَةَ غورديومَ .

ثُمَّ تَقولُ القِصَّةُ إنَّ غورديوسَ كانَ قَدْ رَبَطَ النِّيرَ (آلَةَ الفَدّانِ) بِعَمودِ العَرَبَةِ بِعُقْدَةٍ شَديدَةِ التَّعْقيدِ جِدًّا ، وتَقولُ الأُسْطورَةُ إنَّ مَنْ يَحُلُّ العُقْدَةَ بَعْدَ ذلِكَ ، سَيَحْكُمُ آسيا كُلَّها .

وعِنْدَما آسْتَوْلَى الإسْكَنْدَرُ عَلَى البَلْدَةِ ، أَرَوْهُ العَرَبَةَ ، الَّتي كانَتْ مَحْفوظَةً في المَعْبَدِ . وكانَتْ لِلإسْكَنْدَرِ رَغْبَةٌ شَديدَةٌ في أَنْ يُصْبِحَ حاكِمًا عَلَى آسيا كُلِّها ، ولكِنَّهُ لَمْ يُضِعْ وَقْتَهُ في مُحاوَلَةِ حَلِّ العُقْدَةِ . بَلْ شَهَرَ سَيْفَهُ ، وقَطَعَ العُقْدَةَ بِضَرْبَةٍ واحِدَةٍ . وهذا هُوَ السَّبَبُ الَّذي يَجْعَلُنا نَقولُ : « لَقَدْ قَطَعْنا عُقْدَةَ غورديوسَ » ، عِنْدَما نَحُلُّ مُشْكِلَةً صَعْبَةً ومُعَقَّدَةً .



لَمْ يَكُنِ الإِسْكَنْدَرُ يَرْغَبُ في تَضْييعِ قُواهُ في مُحارَبَةِ القَبائِلِ الصَّغيرَةِ ، بَلْ كانَ هَمُّهُ أَنْ يَلْتَقِيَ الجَيْشَ الفارِسِيَّ الَّذي يَقودُهُ داريوسُ ويُحَطِّمَهُ . عادَ جَنوبًا إِلَى طرسوسَ ثانِيَةً . وقَدْ وَقَعَتْ هُنا حادِثَةٌ ، تُلْقِي ضَوْءًا عَلَى أَخْلاقِ الإِسْكَنْدَرِ .

أَصابَتْهُ حُمَّى ، وبَيْنَما كانَ طَبيبُهُ فيلُبُّس يُناوِلُهُ الكَأْسَ الَّتي فيها الدَّواءُ ، تَسَلَّمَ رِسالَةً تُخْبِرُهُ بِأَنَّ داريوسَ قَدْ رَشا فيلُبُّس لِكَيْ يَسُمَّهُ . كانَ الإِسْكَنْدَرُ يَثِقُ بِفيلُبُّسَ ، فَسَلَّمَهُ تِلْكَ الرِّسالَةَ لِيَقْرَأَها ، بَيْنَما راحَ يَشْرَبُ الدَّواءَ ، لِيُثْبِتَ لِطَبيبِهِ أَنَّهُ لا يَزالُ عَلَى ثِقَتِهِ بِهِ .

كانَ داريوسُ راغِبًا أَيْضًا في تَدْميرِ قُوَى الإِسْكَنْدَرِ ، فالتَقَى الجَيْشانِ في مَكانٍ يُسَمَّى إِسُّسَ ، وهُوَ مَكانٌ قَريبٌ مِنَ الشّاطِئِ الَّذي تَتَّصِلُ عِنْدَهُ تُرْكِيا بِسورِيَةَ اليَوْمَ . فَرَبِحَ الإِسْكَنْدَرُ المَعْرَكَةَ ، وأَنْشَأَ هُناكَ مَدينَةً سُمِّيَتِ الإِسْكَنْدَرِيَّةَ ، وأَطْلَقوا عَلَيْها بَعْدَ ذلِكَ اسْمَ الإِسْكَنْدَرونِ .

وعِنْدَما رَأَى داريوسُ أَنَّ المَعْرَكَةَ لا تَسيرُ لِصالِحِهِ ، هَرَبَ شَرْقًا ، وعَلِمَ الإِسْكَنْدَرُ ، بَعْدَ انْتِهاءِ المَعْرَكَةِ ، أَنَّ أُمَّ داريوسَ ، وزَوْجَتَهُ ، وبَناتِهِ قَدْ وَقَعْنَ في الأَسْرِ . فَأَمَرَ بِأَنْ يُعامَلْنَ بِاحْتِرامٍ شَديدٍ ، ويُزَوَّدْنَ بِكُلِّ وَسائِلِ الرّاحَةِ .



تَشَتَّتَ الجَيْشُ الفارِسِيُّ ، ولكِنَّ داريوسَ كانَ أُسْطُولُهُ لا يَزالُ في البَحْرِ الأَبْيَضِ المُتَوَسِّطِ . ولَمْ تَكُنْ لَدَى الإِسْكَنْدَرِ سُفُنٌ كافِيَةٌ لِمُحارَبَتِهِ في البَحْرِ . ولِهٰذا قَرَّرَ الاسْتيلاءَ عَلَى جَميعِ المَرافِئِ الَّتي كانَ يَتَزَوَّدُ مِنْها بالمُؤَنِ . وهٰذا يَجْعَلُ الأُسْطُولَ الفارِسِيَّ عاجِزًا عَنْ إِلحاقِ الأَذَى بِهِ .

اِسْتَسْلَمَتْ لَهُ جَميعُ مُدُنِ الشَّواطِئِ الفِلَسْطينِيَّةِ ، حَتَّى وَصَلَ إِلَى مَدينَةِ صُورَ ، الَّتي كانَتْ قَدْ ثَبَتَتْ ثَلاثَةَ عَشَرَ عامًا ، عِنْدَما حُوصِرَتْ في حَرْبٍ قَبْلَ هٰذِهِ ، وظَنَّ سُكّانُها أَنَّ في اسْتِطاعَتِهِمْ تَحَدِّيَ الإِسْكَنْدَرِ وَهُمْ آمِنُونَ .

كانَتْ مَدينَةُ صُور قائِمَةً عَلَى جَزيرَةٍ ، تَبْعُدُ نِصْفَ مِيلٍ عَنِ الشّاطِئِ ، فأَمَرَ الإِسْكَنْدَرُ بإِنْشاءِ طَريقٍ في البَحْرِ يَسْتَطيعُ جُنُودُهُ السَّيْرَ عَلَيْها ، لِيَهْجُموا عَلَى المَدينَةِ . كانَ هذا العَمَلُ سَهْلًا في الأَماكِنِ الَّتي كانَ فيها الماءُ ضَحْلًا (قليلًا غيرَ عميقٍ) ، ولكِنَّ البَحْرَ كانَ عَميقًا جِدًّا قُرْبَ أَسْوارِ صُورَ ، حَيْثُ لَمْ يَكُنِ العَمَلُ صَعْبًا جِدًّا فَحَسْبُ ، بَلْ كانَ المُدافِعُونَ عَنْها قادِرِينَ عَلَى أَنْ يَهْدِمُوا في اللَّيْلِ ما أُنْجِزَ في أَثْناءِ النَّهارِ .

بَنَى مُهَنْدِسُو الإِسْكَنْدَرِ أَطْوافًا عائِمَةً ، لِتَحْمِلَ آلاتِ المَنْجَنيقِ الثَّقيلَةَ ، فَأُنْشِئَتِ الطَّريقُ بِحِمايَةِ نيرانِ آلاتِ المَنْجَنيقِ . وبَعْدَ أَنْ حُوصِرَتِ المَدينَةُ سَبْعَةَ أَشْهُرٍ ، هَجَمَ عَلَيْها عَنْوَةً ، واحْتَلَّها . أَمّا الأُسْطُولُ الفارِسِيُّ فَلَمْ يَعُدْ إِلَى إِزْعاجِ الإِسْكَنْدَرِ ثانِيَةً .



وبَعْدَ أنِ استَوْلَى الإسْكَنْدَرُ عَلَى صُورَ ، واصَلَ زَحْفَهُ عَلَى شاطِئِ البَحْرِ المُتَوَسِّطِ حَتَّى مِصْرَ . وتَوَقَّفَ عَنِ الزَّحْفِ في دِلْتا النِّيلِ .

كانَ الإسْكَنْدَرُ أَكْثَرَ مِنْ جِنرالٍ ناجِحٍ في الحُروبِ . إذْ أَخَذَ مَعَهُ في جَميعِ مَعارِكِهِ رِجالًا حاذِقِينَ في العُلُومِ ، والفُنونِ ، والتِّجارَةِ ، وكانَ مُسْتَعِدًّا دائِمًا لِلإصْغاءِ إلى ما يَقُولُونَهُ لَهُ ولَمْ يَجْهَلْ أَنَّ كُلَّ بَلَدٍ يَسْتَوْلي عَلَيْهِ ، يَعْني لِلتُّجّارِ زِيادَةً في تِجارَتِهِمْ .

يَتَفَرَّعُ النِّيلُ ، عِنْدَ دُخُولِهِ البَحْرَ إلى عَدَدٍ مِنَ الأَنْهارِ الصَّغيرَةِ ، فأَرادَ الإسْكَنْدَرُ أَنْ يَبْنِيَ هُناكَ مَرْفَأً كَبيرًا ، تَسْتَطيعُ أَنْ تَأْتِيَ إِلَيْهِ السُّفُنُ ، لِتَحْمِلَ مَحاصِيلَ مِصْرَ الوافِرَةَ . وعِنْدَما زَحَفَ الإسْكَنْدَرُ بَعْدَ ذلِكَ قائِدًا جُيُوشَهُ آلافَ الأَمْيالِ شَرْقًا ، تَرَكَ وَراءَهُ مُهَنْدِسِينَ مِعْمارِيِّينَ ، ومُهَنْدِسِينَ مَدَنِيِّينَ ، وعُمّالَ بِناءٍ لِتَشْييدِ ذلِكَ المَرْفَإِ الكَبيرِ . ولكِنَّهُ لَمْ يَعُدْ لِرُؤْيَةِ المَدينَةِ الَّتي كانَ يَحْلُمُ بِها .

لا تَزالُ الإسْكَنْدَرِيَّةُ حَتَّى اليَوْمِ تُذَكِّرُنا بِذلِكَ الفاتِحِ العَظيمِ ، الَّذي أَمَرَ بِبِنائِها وقَدِ ازْدادَتْ أَهَمِّيَّتُها خِلالَ القُرُونِ الَّتي تَلَتْ تَأْسيسَها ، وازْدادَتِ الأَرْصِفَةُ الَّتي تَأْتي إِلَيْها السُّفُنُ مِنْ جَميعِ أَنْحاءِ العالَمِ ، الَّتي لَمْ يَكُنِ الإسْكَنْدَرُ يَعْرِفُها



لَمْ يُقاوِمِ المِصْرِيُّونَ الإِسْكَنْدَرَ ، بَلْ رَحَّبُوا بِهِ لِأَنَّهُ أَنْقَذَهُمْ مِنَ الفُرْسِ ، وتَوَّجُوهُ في مَنْفيسَ فِرْعَوْنًا عَلَى مِصْرَ كُلِّها .

اِعْتادَ الرِّجالُ في تِلْكَ الأَيّامِ أَنْ يَسْتَشيرُوا الكُهّانَ في الأُمُورِ المُهِمَّةِ . وكانَ ذلِكَ يَحْدُثُ في أَماكِنَ ، يُفْتَرَضُ فيها أَنْ تُجيبَ الآلِهَةُ على الأَسْئِلَةِ ، الَّتي يُوَجِّهُها إِلَيْها الكُهّانُ . وكانَ أَشْهَرُ تِلْكَ الأَمْكِنَةِ مَوْجُودًا في دَلفوسَ باليُونانِ . وكانَ ثانِيها هَيْكَلُ الإِلهِ المِصْرِيِّ آمونَ ، المَوْجُودُ في مَكانٍ في الصَّحْراءِ ، يَبْعُدُ ثَلاثَمِئَةِ ميلٍ عَنِ الإِسْكَنْدَرِيَّةِ .

فَقَرَّرَ الإِسْكَنْدَرُ الذَّهابَ إِلى ذلِكَ المَكانِ ، الذي يُسَمُّونَهُ الآنَ واحَةَ سيوَه ، لِيَسْأَلَ الكاهِنَ هُناكَ إِذا كانَتْ حَمْلَتُهُ عَلى داريوس سَتَكُونُ ناجِحَةً . ولَمْ تَكُنْ هُنالِكَ طُرُقٌ عَبْرَ الصَّحْراءِ ، والدَّليلُ الذي ذَهَبَ مَعَ الإِسْكَنْدَرِ أَضاعَ طَريقَهُ . ولَمْ يَسْتَطِعِ الإِسْكَنْدَرُ الوُصُولَ إِلى الواحَةِ ، إِلّا بِاقْتِفائِهِ آثارَ الحَيّاتِ والطُّيُورِ العائِدَةِ إِلى الواحَةِ ، الَّتي اسْتَشارَ فيها الكاهِنَ .

حَيّا الكُهّانُ الإِسْكَنْدَرَ بِاعْتِبارِهِ ابْنًا لِآمونَ ، لِأَنَّ فِرْعَوْنَ مِصْرَ يُفْتَرَضُ فيهِ أَنْ يَكُونَ مِنْ نَسْلِ الآلِهَةِ . ولا نَعْلَمُ إِذا كانَ الإِسْكَنْدَرُ قَدْ آمَنَ بِذلِكَ أَمْ لَمْ يُؤْمِنْ . ومِنَ المُمْكِنِ أَنْ يَكُونَ قَدْ آمَنَ .



أُتيحَتْ لِداريوسَ فُرْصَةٌ قَصيرَةٌ لِيَجْمَعَ خِلالَها جَيْشًا آخر . وبَنى في أثْناءِ ذلِكَ عَدَدًا مِنَ العَرَباتِ ذاتِ المَناجِلِ ، لِيَحْصُدَ بِها جُنودَ الإسْكَنْدَرِ المُشاةَ . وكانَتْ تِلْكَ العَرَباتُ قَدْ ثُبِّتَتْ عَلى دواليبِها شفراتٌ حادَّةٌ . وعِنْدَما تَجُرُّها الخُيولُ المُنْطَلِقَةُ بِأَقْصى سُرْعَتِها وتَخْتَرِقُ بِها المُشاةَ ، فإنَّها تُحْدِثُ فيهِمْ جِراحًا بَليغَةً .

رَجَعَ الإسْكَنْدَرُ مِنْ مِصْرَ بِطَريقِ دِمَشْقَ ، حَيْثُ اسْتَوْلى عَلى كُورٍ كَثيرَةٍ لِداريوسَ ثُمَّ عَبَرَ النَّهْرَيْنِ الكَبيرَيْنِ الفُراتَ ودِجْلَةَ ، دُونَ أَنْ يَجِدَ مُقاوَمَةً . وكانَ داريوسُ يَنْتَظِرُهُ عَلى ضِفَّةِ دِجْلَةَ الثّانِيَةِ .

تَلاقَى الجَيْشانِ في صَباحِ يَوْمٍ مِنْ أَيّامِ تَشْرينَ الأَوَّلِ عام ٣٣١ قَبْلَ الميلادِ . وكانَ الإسْكَنْدَرُ قَدْ أَحْسَنَ إطْعامَ جُنودِهِ ، وجَعَلَهُمْ ينامُونَ نَوْمًا مُريحًا . أَمّا الفُرْسُ فَقَدْ ظَلُّوا مُدَجَّجينَ بِأَسْلِحَتِهِمُ اللَّيْلَ كُلَّهُ ، وكانُوا مُتْعَبينَ وجائِعينَ .

بَدَأَتِ المَعْرَكَةُ ، وهَجَمَتِ العَرَباتُ ذاتُ المَناجِلِ . ولكِنَّ حَمَلَةَ المَزارِيقِ (الرِّماحِ القَصيرَةِ) في جَيْشِ الإسْكَنْدَرِ ، فَتَحُوا صُفوفَهُمْ ، وجَعَلُوا الفُرْسَ يَقْتَحِمُونَها ، وفَتَكُوا بالخُيولِ . ثُمَّ هَجَمَ الإسْكَنْدَرُ بِفُرْسانِهِ ، فَتَشَتَّتَ شَمْلُ مُشاةِ الفُرْسِ ، وهَرَبُوا . وفُتِحَتِ الطَّريقُ إلى بابِلَ في وَجْهِ الإسْكَنْدَرِ لِيَدْخُلَها ظافِرًا .



هَرَبَ داريوسُ مِنَ المَعْرَكَةِ كَعادَتِهِ ، تارِكًا جُنُودَهُ يُحارِبُونَ أَوْ يَمُوتُونَ ، ولَمْ يُسْرِعِ الإِسْكَنْدَرُ في مُطارَدَتِهِ .

أَظْهَرَ الإِسْكَنْدَرُ في بابِلَ أَنَّهُ فاتِحٌ حَكيمٌ ، إِذْ حافَظَ على عاداتِ السُّكّانِ ، وعَيَّنَ نَبيلًا فارِسِيًّا حاكِمًا مَدَنِيًّا عَلَى المَدينَةِ . ولَمْ يَتَأَخَّرْ جَيْشُهُ عَنِ الزَّحْفِ عَلَى بِرْسِبُولِسَ ، الَّتي تَبْعُدُ مِئَةَ مِيلٍ عَنْ رَأْسِ الخَليجِ العَرَبِيِّ شَرْقًا

أَرْغَمَ الإِسْكَنْدَرُ جُنودَهُ عَلَى أَنْ يَجْتازُوا مَسافاتٍ طَويلَةً ، بَلَغَتْ في بَعْضِ الأَحْيانِ سِتَّةً وثَلاثِينَ مِيلًا يَوْمِيًّا . وكانَ لِهذا سَبَبٌ مَعْقُولٌ ؛ إِذْ كانَتْ لِداريوس كُنُوزٌ عَظِيمَةٌ جِدًّا في بِرْسِبُولِسَ ، وأَرادَ الإِسْكَنْدَرُ الوُصُولَ إِلَى هُناكَ قَبْلَ أَنْ يَنْقُلُوها . وقَدْ نَجَحَتْ خُطَّتُهُ ، واسْتَوْلَى عَلَى ثَرْوَةٍ ، قِيلَ إِنَّها تُساوِي أَرْبَعَةً وأَرْبَعِينَ مِلْيُونَ جُنَيْهٍ .

وفي أَثْناءِ ذلِكَ كانَ داريوس يُسْرِعُ شَرْقًا نَحْوَ مَكانٍ يُسَمَّى أَكْباتانا ، وهُوَ الآنَ مَدينَةُ هَمَدانَ . فَقَرَّرَ الإِسْكَنْدَرُ مُطارَدَتَهُ بَعْدَ أَنِ اسْتَوْلَى عَلَى الكَنْزِ ، ولكِنَّهُ عِنْدَما وَصَلَ إِلَى أَكْباتانا ، عَلِمَ أَنَّ داريوس كانَ قَدْ غادَرَها ، فَلَحِقَ بِهِ بِسُرْعَةٍ عَجِيبَةٍ ، كانَتْ تَبْلُغُ في اللَّيْلَةِ الواحِدَةِ خَمْسِينَ مِيلًا ، ولَمّا أَدْرَكَهُ ، وَجَدَ أَنَّ ضابِطَيْنِ مِنْ ضُبّاطِهِ كانا قَدْ قَتَلاهُ .



وَجدَ الإسْكَنْدَرُ في أكْباتانا قصْرًا عجيبًا مِن الذَّهَبِ والفِضَّةِ ، وعِنْدما جلسَ في نعيمِ الشَّرْق المُتْرَفِ العَطِر ، تَحَقَّق أنَّهُ قَدْ أصْبح أخيرًا سَيِّدَهُ .

كان أرسطو ، مُعَلِّمُهُ القَديمُ ، قَدْ علَّمَهُ أنّ صُعُوبَة إقْرارِ السَّلام تُعادِلُ صُعُوبَةَ إضْرامِ نارِ الحرْب . كان الإسْكَنْدرُ ملكًا على مَقْدونيا ، ولكِنَّ انْتِصارَهُ جَعَلَهُ الآنَ ملِكًا على بِلادِ فارِس . كان هدفُهُ توْحِيدُ المَمْلَكَتَيْنِ والشَّعْبَيْنِ ، اليُونانيِّ والفارِسيِّ ، لِيُصْبِحا شعْبًا واحِدًا في مَمْلَكةٍ واحِدَةٍ .

بَدَأَ بتعْيينِ نُبَلاءِ الفُرْسِ وجِنرالاتِهِ المقْدونِيّينَ والإغْريقِ حُكّامًا عَلَى المُدُنِ والأقاليمِ . ثُمَّ جَعَلَ بابلَ عاصِمةَ الإمبراطُوريَّةِ الجَديدةِ ، الإمبراطوريَّةِ الّتي امْتَدَّتْ مِنَ البَحْرِ الأبْيضِ المُتوسِّطِ إلى بَحْرِ قزْوين ، وازْداد امْتِدادُها ازْديادًا كَبيرًا بَعْدَ ذلِكَ بِسُرْعةٍ عَجيبَةٍ .

اسْتاءَ أتْباعُ الإسْكَنْدرِ المَقْدونيّون والإغْريقُ مِنْ عمَلِهِ هذا ، وازْداد اسْتِياؤُهُمْ عِنْدَما اسْتَبْدلَ الأثْوابَ الفارِسيَّةَ بأثْوابِهِ الإغْريقيَّةِ . واتَّخذ لقبًا جديدًا ، هُو سَيِّدُ آسيا ، وسَكَّ نُقُودًا . يُمْكِنُ أنْ ترى في المَتاحِفِ اليوْمَ منْقُوشًا علَيْها الغِرْفينُ (حيوانٌ خُرافيٌّ نِصْفُهُ نسْرٌ ونِصْفُهُ أسدٌ) الفارسِيُّ المَلَكيُّ . كان عُمْرُ الإسْكَنْدر آنذاكَ لا يتجاوزُ السّابعَةَ والعِشْرين .

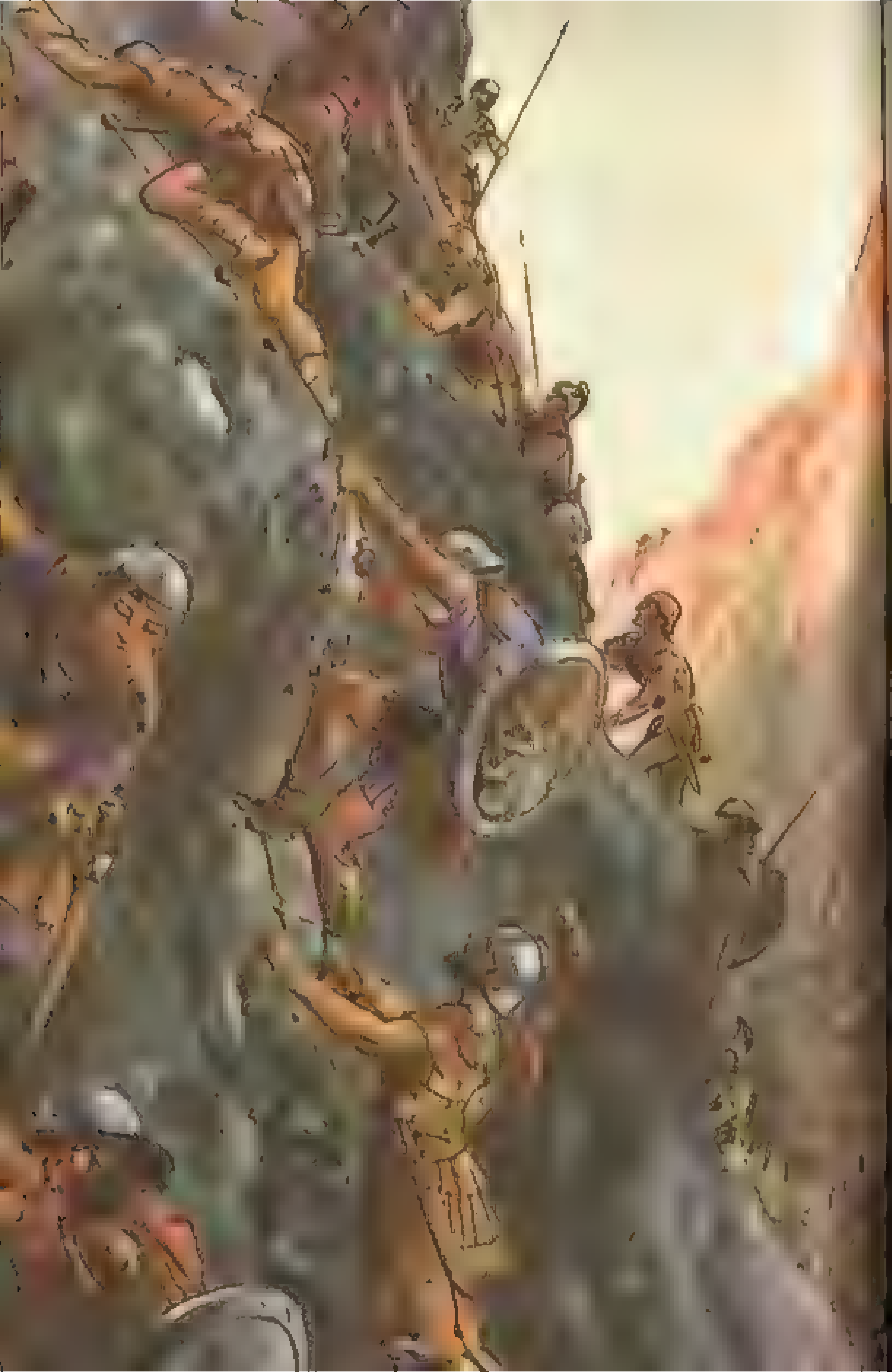


كانَ الإِسْكَنْدَرُ الآنَ مُسْتَعِدًّا لِلزَّحْفِ شَرْقًا . لَمْ يَكُنْ يَعْلَمْ مِقْدار امْتِدادِ الإِمبراطوريَّةِ الفارِسِيَّةِ ، ولكِنَّهُ كانَ مُصَمِّمًا عَلَى السَّيْطَرَةِ علَيْها كُلِّها

عِنْدما وَصل إلى نَهْرِ مُرْغاب ، عَلِم أنَّ القبائِل في الجنوب ، المَكانِ الّذي يُسمّى الآن أفغانستان ، قَدْ قاموا بِثَوْرَةٍ مُسلَّحةٍ ضِدَّهُ وكان الإِسْكَنْدَرُ يَرَى أنَّ مِن الجُنونِ أنْ يَزْحف شَرْقًا ، ويَتْرُكَ وراءهُ قبائِل مُعادِيَةً ، قادِرةً على مَنْعِ المُؤَنِ والمَدَدِ العَسْكَرِيِّ عَنْهُ . فَاسْتَطاعَ في حَمْلَةٍ سريعَةٍ تَهْدِئَةَ البِلادِ ، وأَصْبَحَ قادِرًا عَلَى اسْتِئْنافِ الزَّحْفِ .

ثُمَّ وَجد الجَيْشُ نَفْسَهُ في مَكانٍ لَيْس فيهِ بُلْدانٌ ولا مُدُنٌ ، ولَمْ يكُنْ فيهِ سِوَى قُرًى صَغيرةٍ وقُصورٍ لِلْحُكّام وكان الإِسْكَنْدَرُ مُوقِنًا بأنَّ التِّجارَةَ لا تَزْدَهِرُ إلّا بِوُجُودِ البُلْدانِ . وهذا جَعَلَهُ يُصْدِرُ أوامِرَهُ بِبِناءِ بِلادٍ كَثيرَةٍ ، أُطلِقَ عَلَى كُلِّ بَلَدٍ مِنْها اسْمُ الإِسْكَنْدَرِيَّةِ .

حوّلت الحَمْلَةُ علَى أفغانستان الطَّريقَ كَثيرًا نحو الجنوب . مِمّا أَجْبَرَ الإِسْكَنْدَرَ عَلَى أنْ يَسير على طريقٍ شماليٍّ شَرْقيٍّ ، مارًّا بالجِبالِ المُغَطّاةِ بالثُّلوجِ في كُوش الهِنْدِيَّةِ . ابْتُلِيَ الجَيْشُ بِنَقْصٍ في الطّعامِ والوقودِ ، وقَدْ رُوِيَ أنَّهُ عاش على أكْلِ لُحُومِ البِغالِ المَيْتَةِ .



كانَتْ لا تَزالُ هُناكَ مَعارِكُ لا بُدَّ لِلإسْكَنْدَرِ مِنْ أنْ يَخُوضَها . فَعَلَى الجِبالِ الشَّمالِيَّةِ وُجِدَ أميرٌ قَوِيٌّ يُسَمَّى أُوكْزِيارْتِيس ، عَلَى رَأْسِ جَيْشٍ يُسَيْطِرُ على تِلْكَ الجِبالِ . كانَ حِصْنُهُ الرَّئيسِيُّ قائِمًا فَوْقَ صَخْرَةٍ عَظيمَةٍ ، وقَدْ هَزَأَتْ حامِيَتُهُ بالإسْكَنْدَرِ ، عِنْدَما قالَتْ لَهُ إنَّهُ لَنْ يَسْتَطيعَ الاسْتِيلاءَ عَلَيْهِ ، إلّا إذا اسْتَطاعَ رِجالُهُ الطَّيَرانَ .

وقَدِ اسْتَطاعَ الجُنُودُ المُهاجِمُونَ الوُصُولَ إلَى قِمَّةِ تِلْكَ الصَّخْرَةِ ، بِدَقِّ أوْتادٍ حَديدِيَّةٍ في شُقُوقِ الصَّخْرَةِ ، وارْتِقاءِ السَّلالِمِ المَصْنُوعَةِ مِنَ الحِبالِ . فَدَهِشَ حُماةُ الحِصْنِ كَثيرًا عِنْدَما رَأَوْهُمْ ، واسْتَسْلَمُوا .

هَرَبَ أُوكْزِيارْتِيسُ ، ولكِنَّ ابْنَتَهُ رُوكْسانا كانَتْ بَيْنَ الأسْرَى فَعِنْدَما رَآها الإسْكَنْدَرُ ، وَجَدَ أنَّها كانَتْ جَميلَةً جِدًّا ، وبَعْدَ فَتْرَةٍ قَصيرَةٍ مِنَ الزَّمَنِ تَزَوَّجَها في احْتِفالٍ عَظيمٍ ظَهَرَتْ فيهِ رَوْعَةُ الأعْراسِ الفارِسِيَّةِ وأُبَّهَتُها .

كانَ لِهذا تَأْثيرُهُ المَرْجُوُّ في أُوكْزِيارْتِيسَ ؛ لِأنَّهُ بَعْدَ أنْ رَآهُ قَدْ أتَمَّ تِلْكَ المُصاهَرَةَ ، أرْسَلَ إلَيْهِ رُسُلًا تَطْلُبُ عَقْدَ الصُّلْحِ بَيْنَهُما . ولَمْ يَكُنِ الإسْكَنْدَرُ يَرْغَبُ في غَيْرِ ذلِكَ ، وأصْبَحَ أُوكْزِيارْتِيسُ ، مُنْذُ ذلِكَ الحينِ ، حَليفَهُ المُخْلِصَ . وبِهذا العَمَلِ أظْهَرَ الإسْكَنْدَرُ أنَّهُ حَكيمٌ . لَقَدْ تَذَكَّرَ تَعْليماتِ أُسْتاذِهِ العَظيمِ أرِسْطو ، الَّتي تَفْرِضُ على المُنْتَصِرِ أنْ يُقِرَّ السَّلامَ بَعْدَ أنْ أشْعَلَ نارَ الحَرْبِ . إنَّ التَّحالُفَ مَعَ أُوكْزِيارْتِيسَ قَدْ ضَمِنَ السَّلامَ .



أَصْبَحَ الإِسْكَنْدَرُ الآنَ فِي أَقْصَى القِسْمِ الشَّمالِيِّ مِنْ أفغانِسْتان . وهُوَ مَكانٌ جَبَلِيٌّ وَعِرٌ ، تُوجَدُ شَرْقِيَّهُ قَبائِلُ كَثِيرَةٌ لا تَزالُ عَلَى ما كانَتْ عَلَيْهِ مِنَ العِداءِ .

وصلتْ إلى الإِسْكَنْدَرِ إِمْداداتٌ قوِيَّةٌ ، فأَصْبَحَ لَدَيْهِ جَيْشٌ مُؤَلَّفٌ مِنْ ثَلاثِينَ أَلْفَ رَجُلٍ مُسْتَعِدِّينَ لِلْحَرْبِ . كانُوا يسيرُونَ نحْوَ المجْهُولِ ، لِأَنَّهُمْ لَمْ يَسْتَطِعْ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَنْ يَعْرِفَ ماذا كانَ يُوجَدُ وراءَ الجِبالِ . اعتقد الإِسْكَنْدَرُ أَنَّهُ إِذا سارَ شَرْقًا ، لا بُدَّ لَهُ مِنَ الوُصولِ إِلى البَحْرِ بِسُرْعَةٍ . وإذا نَظَرْنا إِلَى خريطَةٍ ، وَجَدْنا أَنَّهُ كانَ مُخْطِئًا جِدًّا في اعتِقادِهِ . فَلِكَيْ يَصِلَ جَيْشُهُ إِلى البَحْرِ ، كانَ عليْهِ أَنْ يخترِقَ الصِّينَ .

اتَّجه الإِسْكَنْدَرُ شَطْرَ الجنُوبِ الشَّرْقِيِّ ، لِكَيْ يَجْتازَ الجِبالَ مِنْ مَمَرِّ خَيْبَرَ ، وهُوَ اسْمٌ عَرَفَهُ الجُنودُ الإِنْكِليزُ جَيِّدًا بعْدَ أَلْفَيْ سنةٍ .

وصلَ الإِسْكَنْدَرُ إِلى نَهْرِ الإِندوسِ ، الَّذي تقعُ وراءَهُ بِلادُ السِّحابِ الغَنِيَّةُ ، الَّتي يَحْكُمُها أَميرٌ قَوِيٌّ يُدْعَى بُورَس ، لهُ جَيْشٌ كَبيرٌ فيهِ مِئَتا فِيلٍ . فدارَ الإِسْكَنْدَرُ دَوْرَةً كَبِيرَةً ، وعَبَرَ النَّهْرَ بِنجاحٍ ، وهجم مِنَ الخَلْفِ . فكانَ النَّصْرُ حَلِيفَهُ . وعِنْدَما أَحْضَرُوا لَهُ بُورَس ، سأَلَهُ الإِسْكَنْدَرُ قائِلًا : « كَيْفَ تَتَوَقَّعُ أَنْ نُعامِلَكَ ؟ » فأَجابَهُ : « كما يُعامَلُ المَلِكُ . » فربحَ بِجَوابِهِ هذا احْتِرامَ الإِسْكَنْدَرِ وصَداقَتَهُ .



أضافَ الإسْكَنْدرُ مِئاتٍ مِنَ الأفْيالِ إلى جَيْشِهِ ، بَعْدَ أنْ أصْبحَ بُورَسُ صَديقًا لَهُ . فكانَتْ لهذا العَمَلِ أهَمِّيَّةٌ كَبيرَةٌ ، لِأنَّ الفِيلةَ تَسْتطيعُ أنْ تَحْمِلَ ، في أثْناءِ الزَّحْفِ ، قِسْمًا كَبيرًا مِنْ مَتاعِ الجَيْشِ . أمّا في المَعْرَكَةِ ، فإنَّ الخُيُولَ لا تَسْتَطيعُ مُواجَهَةَ الأفْيالِ ، والمُشاةُ تَكادُ قُواهُمْ تَشَلُّ إزاءَها .

بَعْدَ المَعْرَكَةِ الَّتي انْتَصرَ فيها الإسْكَنْدَرُ عَلَى بورس ، أنْشأ مدينَتَيْنِ، أطْلَقَ على كُلٍّ مِنْهما اسْمَ الإسْكَنْدرِيَّة : فالأولى سُمِّيَتْ نيكايا الإسكندرية، وقدْ أُنْشِئَتْ في المَكانِ الذي خَيَّمَ فيهِ جَيْشُهُ ، وسُمِّيَتِ الثانية بوسِفالا الإسْكَنْدرِيَّة

هُنالِكَ قِصَّةٌ ذاتُ صِلَةٍ بالمدينَةِ الثّانِيَةِ ، تُرينا ناحيةً جديدةً مِنْ طبيعةِ هذا الفاتحِ العظيمِ . كانَ يَزْحَفُ دائمًا وهو على رأسِ جَيْشِهِ ، ويَهْجُمُ عابِسًا معهُمْ عِنْدَ اشْتِعالِ نارِ المَعْرَكَةِ . وكانَ عِنْدَهُ مِئاتُ الجِيادِ طَبْعًا، ولكِنَّهُ كانَ يَخُصُّ جوادًا مِنْها بِمَحَبَّتِهِ ، اسْمُهُ بوسيفالوس .

كانَ بوسِفالُوسُ قَدْ حَمَلَ الإسْكَنْدَرَ مِئاتِ الأمْيالِ مِنْ مَقْدونيا إلى آسيا . ثُمَّ ماتَ الجوادُ ، فحزِنَ عليْهِ الإسْكَنْدرُ كما يحْزَنُ الإنْسانُ على صديقٍ وفيٍّ . وقدْ أنْشأ مدينةً في البُقْعةِ الَّتي ماتَ فيها الجَوادُ ، إحْياءً لِذِكْرى حِصانٍ مِنْ أكْثَرِ الخُيولِ في التاريخِ شُهْرَةً . وسكَّ نَقْدًا خاصًّا ، نُقِشَتْ عَلَيْهِ صُورَتُهُ ، وهُوَ يَرْكَبُ بوسِفالوسَ ، ويُطارِدُ أحَدَ فِيَلَةِ بورس .



واصل الإسْكَنْدرُ زحفَهُ شرقًا . وظلَّ يتوقَّعُ رُؤْيَةَ البحرِ مِنْ قِمَّةِ التَّلَّةِ التَّالِيَةِ

لَمْ يُشاطِرِ الجُنُودُ الإسْكَنْدَرَ آمالَهُ . لَقَدْ وصلُوا الآن إلى مكانٍ يقعُ شمالَ ما يُسَمَّى الآن أمْرِيتسارَ ، وهُوَ يَبْعُدُ آلافَ الأَمْيالِ عنْ بُيُوتِهِمْ في بِلادِ اليُونانِ . وقَدْ مضتْ ثمانِيَةُ أعْوامٍ على عُبُورِهِمُ الدَّرْدنيل واندِفاعِهِمْ إلى آسيا .

كانَ القِتالُ في البنجابِ عنيفًا ، قُتِلَ كثيرونَ فيهِ أوْ جُرِحُوا . وبدأ النَّاجُونَ مِنَ المَوْتِ يشُكُّونَ في أنْ يبْقَوْا على قَيْدِ الحياةِ ويروْا بيُوتَهُمْ ثانيةً وأصْبحَ عددُ الأعْداءِ الذين ينْتظِرُون قِتالَهُمْ شرْقًا يزْدادُ يوْمًا بعْدَ يوْمٍ . وقدْ بلغَ مسامِعَهُمْ أنَّ وراءَ النَّهْرِ التَّالي قَبيلةً ، عِنْدَها آلافُ الأفْيالِ الكبيرةِ والمُتوحِّشةِ

أعْلنَ الجيْشُ العِصْيانَ . والجُنُودُ الذين تبعُوا الإسْكَنْدرَ بإخْلاصٍ ، وحاربُوا بِشجاعةٍ فائقةٍ ، رفضُوا مُواصلةَ الزَّحْفِ . كانتْ تِلْكَ صفْعةً مُؤْلِمةً لِلإسْكَنْدرِ ، الذي عادَ إلى خيْمتِهِ ، وأقامَ فيها ثلاثةَ أيَّامٍ ، مُؤَمِّلًا أنْ يُغيِّرَ الجُنُودُ آراءَهُمْ . وعِنْدما أبوْا أنْ يُغيِّرُوا آراءَهُمْ ، وعدَهُمْ بأنْ يسْمحَ لهُمْ بالعوْدةِ إلى وطنِهِمْ فوْرًا . ففرِحَ الجُنُودُ كثيرًا ، غيرَ عالِمينَ بأنَّ ما ينْتظِرُهُمْ سيكُونُ أسْوأَ مِمَّا هُمْ عليْهِ .



كانَتْ رِحْلَةُ العَوْدَةِ سَهْلَةً أَوَّلَ الأَمْرِ. قَرَّرَ الإِسْكَنْدَرُ أَنْ يَتْبَعَ مَجْرَى نَهْرِ جلوم إِلى البَحْرِ، وبَنَى أَوْ سَخَّرَ النّاسَ بِأَمْرٍ عَسْكَرِيٍّ لِبِناءِ نَحْوِ أَلْفِ سَفينَةٍ. فَأَبْحَرَ كَثيرٌ مِنَ الجُنودِ فيها، بَيْنَما مَشَى الآخَرونَ عَلى ضِفَّتَيِ النَّهْرِ مَعَ الخُيولِ والفِيَلَةِ.

وبَعْدَ مُدَّةٍ قَصيرَةٍ انْضَمَّ نَهْرٌ آخَرُ إِلى نَهْرِ جلوم. فَوَجَدَ الجُنودُ أَنَّهُمْ لَمْ يَنْتَهوا مِنَ الحَرْبِ. لَمْ تَكُنْ مُدَّةُ المَعارِكِ طَويلَةً؛ ولكِنَّها كانَتْ مَعارِكَ حامِيَةً. وكانَ عَلَيْهِمْ أَنْ يَهْجُموا ويَسْتَوْلوا عَلى مَدينَةٍ بَعْدَ أُخْرى، واضْطُرَّ الإِسْكَنْدَرُ مَرَّتَيْنِ إِلى أَنْ يَتَسَلَّقَ السّورَ قَبْلَ جُنودِهِ، لِيُشَجِّعَ جُنودَهُ الَّذينَ حَلَّ بِهِمُ التَّعَبُ والخَوْفُ عَلى أَنْ يَتْبَعوهُ.

وفي مَرَّةٍ أُخْرى تَراجَعَ جُنودُهُ حَتّى أَشْجَعُهُمْ. فَحَمَلَ هذا التَّراجُعُ الإِسْكَنْدَرَ عَلى أَنْ يُمْسِكَ بِسُلَّمٍ، ويَتَسَلَّقَ السّورَ، دونَ أَنْ يَتْبَعَهُ سِوى حامِلِ تُرْسِهِ، وواحِدٍ مِنْ ضُبّاطِهِ، اسْمُهُ لِيونّاتُس. فَقَفَزَ الإِسْكَنْدَرُ مِنَ السّورِ إِلى داخِلِ البَلَدِ، وحارَبَ وَحْدَهُ، إِلى أَنِ انْضَمَّ إِلَيْهِ الرَّجُلانِ الآخَرانِ.

فَتَكاثَرَ الأَعْداءُ عَلى الإِسْكَنْدَرِ، وجَرَحوهُ، فَحَماهُ بِيوسْتاس بِوَضْعِ تُرْسِهِ فَوْقَهُ، بَيْنَما حارَبَ لِيونّاتُس العَدُوَّ. وأَخيرًا اقْتَحَمَ جَيْشُ الإِسْكَنْدَرِ المَدينَةَ، في الوَقْتِ المُناسِبِ، وحُمِلَ الإِسْكَنْدَرُ، وهُوَ مُغْمًى عَلَيْهِ، إِلى إِحْدى السُّفُنِ.

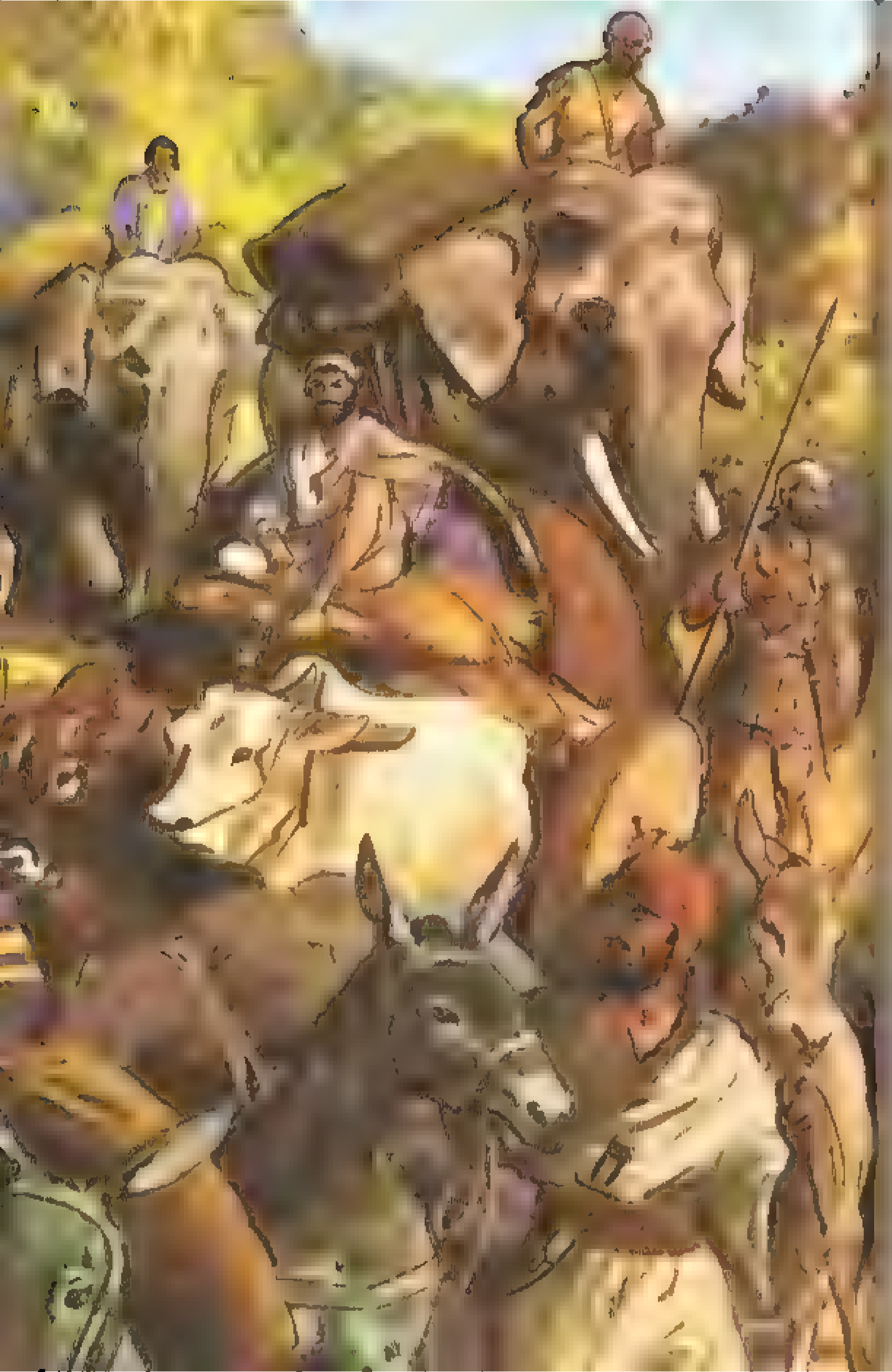


لَمْ يَنْسَ الإِسْكَنْدَرُ ، خِلالَ زَحْفِهِ العَسْكَرِيِّ ، الَّذي امْتَدَّ آلافَ الأَمْيالِ عَبْرَ آسيا ، قَوْلَ أُسْتاذِهِ أَرِسطو له : «يُمْكِنُ أَنْ يُسْتَوْلَى عَلَى إِمبراطورِيَّةٍ بالمعارِكِ ، ولكِنَّ التِّجارَةَ وَحْدَها هِيَ الَّتي تُبْقي الإِمبراطورِيَّةَ مُتَماسِكَةً »

وهذا جعَلَهُ ، حَيْثُما ذهبَ ، يلْتَقي التُّجّار ، ويَسْأَلُهُمْ عَمّا يُمْكِنُ بَيْعُهُ في أَسْواقِ الشَّرْقِ الجَميلَةِ الصّاخِبَةِ . وقَدْ سُجِّلَتْ عَلَى الخارِطاتِ بِدِقَّةٍ تامَّةٍ طُرُقُ التِّجارةِ القَديمَةُ ، الَّتي سار عليْها ماركوبولو فيما بَعْدُ ، والأَقْنِيَةُ الَّتي تَصِلُ نَهْرًا بآخر

كانَ الإِسْكَنْدَرُ يتمنّى أَنْ يرى جميعَ العالَمِ المعْروفِ مفْتوحَ الأَبْوابِ لِجَميعِ التُّجّارِ ، الذين ينتقِلونَ بِحُرِّيَّةٍ بَيْنَ الشَّرْقِ والغَرْبِ ، وهُمْ يَحْمِلونَ جَميعَ أَنواعِ البضائِعِ . لقَدْ أَرادَ أَنْ تُصْبِحَ مُدُنُهُ الجديدةُ أَسْواقًا كَبيرةً ، يَجْلِبُ إِلَيْها التُّجّارُ بَضائِعَهُمْ مِنْ جَميعِ أَنْحاءِ العالَمِ .

أَصْدَرَ الإِسْكَنْدَرُ نُقودًا تُسْتَعْمَلُ في كُلِّ مكانٍ ، لِكَيْ يُسَهِّلَ على سُكّانِ جميعِ الأَقْطارِ المُتَحَرِّرَةِ التعامُلَ المُتبادَلَ . والمكانُ الوحيدُ الّذي سُمِحَ لهُ أَنْ يَسُكَّ نُقودَهُ بِنَفْسِهِ هُوَ بابل . ولِسُوءِ الحظِّ عادَ كُلُّ قُطْرٍ إِلى نَقْدِهِ الخاصِّ بَعْدَ وفاةِ الإِسْكَنْدَرِ . ولو اسْتَعْمَلْنا اليَوْمَ عُمْلَةً واحِدَةً في كُلِّ العالَمِ ، لأَصْبَحَتِ التِّجارَةُ بَيْنَ الأَقْطارِ أَكْثَرَ سُهولةً .



ذهب الإسْكَنْدرُ في قارب نَهْرِيّ إلى مكانٍ يُسمَّى باتالا ، لا يَبْعُدُ عن البَحْرِ كَثيرًا . وهُناك بنى مَرْفأً كَبيرًا ، تسْتَطيعُ السُّفُنُ المجيءَ إلَيْهِ مِن الأَقْطارِ الأُخْرَى ، لِتَزْويدِ الأَسْواقِ بالبَضائِعِ . كانَ لا يَزالُ يحْلُمُ بإنْشاءِ إمبراطوريَّةٍ تِجاريَّةٍ كَبيرةٍ .

كانَ أَحَدُ جنرالاتِهِ قدْ بَدأَ بِرحْلَةِ العَوْدَةِ إلى الوطَنِ ، آخِذًا معَهُ الأَمْتِعَةَ الثَّقيلَة ، وجَميعَ الجُنُودِ المرْضَى والجرْحَى والفِيَلَةَ . وكانَ علَيْهِ أنْ يَنْضمَّ إلى الجيْشِ الرَّئيسيِّ بعْدَ ذلِك

وَصَلَ الإسْكَنْدَرُ إلى ما نُسَمِّيهِ الآنَ البَحْرَ العَرَبِيَّ قُرْبَ كراتشي . لَقَدْ كانَتْ لحْظَةً رائِعَةً عِنْدَما رأَى هُوَ وجُنُودُهُ ما قَدْ كانَ مُحيطًا مجْهولًا عِنْدَهُمْ . لَمْ يصِلِ الإسْكنْدرُ إلى البحْرِ في الشَّرْقِ ، ولكِنَّهُ وجَدَ مُحيطًا جَديدًا في الجَنُوبِ .

كانَ هذا وَقْتَ تَقْديمِ القَرابينِ إلى الآلهةِ حَسَبَ الدِّيانَةِ الإغْريقِيَّةِ القديمَةِ . صبَّ الإسْكَنْدرُ نبيذًا على الماءِ ، ثُمَّ قَذفَ القدحَ الذَّهبيَّ إلى الأَمْواجِ البَعيدةِ ، مُتَوسِّلًا إلى آلهَةِ البِحارِ والرِّياحِ أنْ تُوصِلَ سُفُنَهُ سالِمَةً إلى مَوانِىءِ الوَطَنِ . ثُمَّ أَقْلَعَتِ السُّفُنُ .



أَبْحَرَ نَحْوُ ثَلاثَةِ آلافِ جُنْدِيٍّ إلى الخليجِ العربيِّ . أَمَّا مَنْ بَقِيَ مِنَ الجَيْشِ ، فَقَدْ بَدَأَ الإِسْكَنْدَرُ بِهِمْ واحِدًا مِنْ أَشَدِّ الزُّحُوفِ قَطاعَةً في التّاريخِ .

كانَ يَعْتَزِمُ البَقاءَ قَرِيبًا مِنَ الشّاطِئِ ، لِيَكُونَ عَلَى صِلَةٍ بِالسُّفُنِ . ولَمّا لَمْ تَكُنِ السُّفُنُ ذاتَ حَجْمٍ كَبِيرٍ ، لِتَحْمِلَ طَعامًا وماءً يَكْفِيانِ لِمِثْلِ ذلِكَ العَدَدِ الكَبِيرِ مِنَ الجُنُودِ ، فَقَدْ كانَ الجَيْشُ مُضْطَرًّا إِلَى تَزْوِيدِهِمْ بِهِما مِنْ وَقْتٍ لِآخَرَ

سارَ كُلُّ شَيْءٍ سَيْرًا حَسَنًا في مِئَةِ المِيلِ الأُولَى ، ثُمَّ فُوجِئَ الإِسْكَنْدَرُ بِأَنْ وَجَدَ طَرِيقَهُ عَلَى الشّاطِئِ تَعْتَرِضُها سِلْسِلَةُ جِبالٍ عالِيَةٍ . فاضْطُرَّ إِلَى الابْتِعادِ عَنِ الشّاطِئِ ، والتَّوَغُّلِ العَمِيقِ داخِلَ البِلادِ ، الَّتِي جَعَلَهُ جَهْلُهُ بِها وبِطَبِيعَتِها القاسِيَةِ يَلْجَأُ إِلَى أَدِلَّةٍ مِنَ المُواطِنِينَ لِكَيْ يُرْشِدُوهُ وجَيْشَهُ . ومِنْ سُوءِ حَظِّهِ أَنَّ الأَدِلَّةَ لَمْ يَكُونُوا يَعْلَمُونَ ، بُعْدَ أَنِ ابْتَعَدُوا عَنِ الشّاطِئِ ، أَكْثَرَ مِمّا كانَ الإِسْكَنْدَرُ يَعْلَمُ عَنْها .

تاهَ الجَيْشُ تَمامًا في تِلْكَ الصَّحْراءِ المُوحِشَةِ ، وهُوَ دُونَ ماءٍ أَوْ طَعامٍ . وكانَتِ الحَرارَةُ شَدِيدَةً جِدًّا في النَّهارِ ، بِحَيْثُ لَمْ يَسْتَطِيعُوا السَّيْرَ إِلّا في اللَّيْلِ . وقَدْ بَذَلُوا جُهودًا جَبّارَةً حَتّى اسْتَطاعُوا أَنْ يَقْطَعُوا مِئَتَيْ مِيلٍ ، ولا طَعامَ لَهُمْ سِوَى لُحُومِ الحَيَواناتِ الَّتِي تَحْمِلُ المَتاعَ ، ولا وَقُودَ إِلّا أَخْشابُ العَرَباتِ . وكانَ عَلَيْهِمْ أَنْ يَتْرُكُوا المَرْضَى مَكانَهُمْ . فَماتَتْ مِئاتٌ كَثِيرَةٌ مِنْهُمْ في الطَّرِيقِ .



وأخيرًا وصلوا إلى الشاطئ ثانيةً . وأصبح الإسكندر قادرًا على إراحة رجاله . ولكنه لم يجد أثرًا للسفن . التي كانت قد واصلت إبحارها . ولم يلتقها هو ورجاله إلا بعد أن اجتازوا أربعمئة ميل أخرى برًّا .

حدثت للبحارة مجازفات كثيرة ، منها التقاؤهم سربًا من الحيتان . ولم يكونوا قد رأوا الحيتان من قبل . فظنوها سفنًا معادية فاتجهوا نحوها استعدادًا للمعركة . وهم ينفخون في أبواقهم كلها . ودهشوا كثيرًا عندما غطست سفن الأعداء المزعومة . واختفت .

ثمّ افترق الجيش والأسطول ثانيةً . فأبحرت السفن تمخر الخليج العربيّ . واتجه الجيش شطر برسبوليس . التي كانوا قد احتلوها منذ سنوات في أثناء زحفهم الأول .

وتلاقيا ثانيةً في مكان يسمّى الأهواز ، قريب من رأس الخليج العربيّ ، وأقاموا وليمةً فخمةً احتفالًا بذلك اللقاء . وفي تلك الوليمة أمر الإسكندر ثمانين من جنرالاته وعشرة آلاف من جنوده بأن يتزوّجوا فتيات فارسيّات ، لكي يوحّد الشعبين .



كانَ الإسْكَنْدَرُ يَطْمَحُ طُمُوحًا كَبِيرًا إلَى تَوْحِيدِ الأَجْناسِ البَشَرِيَّةِ المُخْتَلِفَةِ في إمبراطورِيَّتِهِ الجَدِيدَةِ الكَبِيرَةِ ، وجَعْلِها شَعْبًا واحِدًا . ولَمّا كانَ الآنَ قَدِ اسْتَوْلَى عَلَى كُلِّ العالَمِ المَعْرُوفِ ، فإنَّ هذا يَعْني أَنَّهُ كانَ يُحاوِلُ إنْشاءَ دَوْلَةٍ عالَمِيَّةٍ ، عِوَضًا عَنْ مَجْمُوعَةٍ مِنَ الأَقْطارِ الصَّغِيرَةِ والكَبِيرَةِ ، الَّتي يَتَنافَسُ أَحَدُها مَعَ الآخَرِ ويَتَقاتَلُ .

كانَ هذا مُخَطَّطًا عَظِيمًا ، ولكِنَّ الإسْكَنْدَرَ لَمْ يَنْجَحْ ، لِسُوءِ الحَظِّ ، في تَحْقِيقِهِ . وإحْدَى الطُّرُقِ ، الَّتي اتَّبَعَها لِتَنْفِيذِ ذلِكَ ، أَغْضَبَتْ جُنُودَهُ اليُونانِيِّينَ إغْضابًا شَدِيدًا ؛ إذْ سَرَّحَ بَعْضًا مِنْ كَتائِبِهِ اليُونانِيَّةِ ، وجاءَ بِجُنُودٍ مِنَ الفُرْسِ بَدَلًا مِنْهُمْ . ثُمَّ واجَهَ الإسْكَنْدَرُ عِصْيانًا آخَرَ .

جَمَعَ الجُنُودَ السّاخِطِينَ ، وطَلَبَ إلَيْهِمُ العَوْدَةَ إلَى الوَطَنِ ، قائِلًا : « لِيَذْهَبْ كُلُّ واحِدٍ مِنْكُمْ ، ولْيُخْبِرِ السُّكّانَ في الوَطَنِ بِأَنَّهُ هَجَرَ مَلِكَهُ الَّذي قادَهُ مِنْ نَصْرٍ إلَى نَصْرٍ عَبْرَ العالَمِ . »

نَدِمَ الجُنُودُ العُصاةُ عَلَى ما ظَهَرَ مِنْهُمْ ، وأُقِيمَتْ وَلِيمَةٌ كَبِيرَةٌ احْتِفالًا بِعَوْدَتِهِمْ إلَى صَوابِهِمْ . حَضَرَ الوَلِيمَةَ تِسْعَةُ آلافِ شَخْصٍ ، وجَلَسَ اليُونانِيُّونَ ، والمَقْدُونِيُّونَ ، والفُرْسُ عَلَى مائِدَةِ المَلِكِ ، الَّذي رَحَّبَ بِهِمْ تَرْحِيبًا كَبِيرًا .



خَطَبَ الإسْكَنْدَرُ في تِلْكَ الوَليمَةِ خِطابًا ، تَمَنَّى فيهِ أَنْ يَعيشَ جَميعُ سُكّانِ العالَمِ مَعًا بِسَعادَةٍ وسلامٍ . ومُنْذُ ذلِكَ الحينِ ، حاوَلَ السِّياسِيُّونَ مُدَّةَ أَلْفَيْ عامٍ تَحْقيقَ تِلْكَ الأُمْنِيَةِ ، فَلَمْ يَنْجَحُوا .

لا نَعْلَمُ إذا كانَ في وُسْعِ الإسْكَنْدَرِ تَحْقيقُ ذلِكَ ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَعِشْ طَويلًا لِيَقُومَ بِتِلْكَ المُحاوَلَةِ ، إذْ ماتَ بَعْدَ عامٍ .

اِسْتَعَدَّ الإسْكَنْدَرُ في بابِلَ لِحَمْلَةٍ كَبيرَةٍ أُخْرَى ، وهِيَ في هذِهِ المَرَّةِ حَمْلَةٌ سِلْمِيَّةٌ . حَفَرَ ميناءً كَبيرًا ، وأَمَرَ بِبِناءِ أَلْفِ سَفينَةٍ ، أَرادَ أَنْ يَكْتَشِفَ بِها كُلَّ الشَّواطِئِ العَرَبِيَّةِ ، ويُحاوِلَ وِجْدانَ طَريقٍ بَحْرِيَّةٍ مِنْ بابِلَ إلَى مِصْرَ .

مَرِضَ الإسْكَنْدَرُ ، قَبْلَ ثَلاثَةِ أَيّامٍ مِنَ المَوْعِدِ المُعَيَّنِ لِإبْحارِ الأُسْطُولِ . ولعله قَدْ دُسَّ له السمّ ، إذْ كانَ في مُخَيَّمِهِ كَثيرٌ مِنَ الفُرْسِ الَّذينَ كانُوا يَتَظاهَرُونَ بالصَّداقَةِ ، ويُخْفُونَ كُرْهَهُمْ لَهُ ؛ لِأَنَّهُ فَتَحَ بِلادَهُمْ . وقَدْ واصَلَ إدارَتَهُ لِلاسْتِعْداداتِ لِلْحَمْلَةِ ، مَعَ أَنَّهُ كانَ يَزْدادُ ضَعْفًا يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ . لَقَدْ فاتَ الأَوانُ ، إذْ ماتَ وهُوَ في الثّانِيَةِ والثَّلاثينَ مِنْ عُمْرِهِ ، بَعيدًا عَنْ أَرْضِ وَطَنِهِ ، ومَلِكًا عَلَى إمبراطورِيَّةٍ ، لَمْ يُقَدَّرْ لَهُ أَنْ يَحْكُمَها .


عمليّات الإسكندر الحربيّة
طريق الاسكندر
مقدونيا
ثراس
البحر الأسود
الإمبراطورية الفارسية
أثينا
بودروم
غوردوم
طرطوس
البحر الأبيض المتوسط
الاسكندرية
صور
دمشق
بابل
آكباتانا
مصر
سيوه
(واحة)
مملكة بابل
شبه
الجزيرة
العربية
پارثيا
سوغديانا
باكتريا
أفغانستان
درانجيانا
كرمان
الخليج العربي
الهند
البحر العربي

السِّلْسِلَةُ التّارِيخيَّةُ

١ – جان دارْك
٢ – مارْكو پولو
٣ – الكابْتِنْ سْكوت
٤ – نابولْيون
٥ – كليوباترا وَمِصْرُ القَديمَةُ
٦ – تْشارْلز ديكنْز
٧ – كْريستوفر كولومبوس
٨ – الإسْكَنْدَرُ الأَكْبَرُ
٩ – الحَضاراتُ الكُبْرى : مِصْر
١٠ – الحَضاراتُ الكُبْرى : اليونانُ
١١ – فْلورَنْس نَيْتِنْغيل
١٢ – الحَضاراتُ الكُبْرى : روما
١٣ – القُبْطانُ كوك
١٤ – روبَرْت لويس سْتيفنْسون
١٥ – هَنيبَعْل
١٦ – الحَضاراتُ الكُبْرى : كْريت
١٧ – الحَضاراتُ الكُبْرى : الفايكِنْجز
١٨ – الحَضاراتُ الكُبْرى : الآزْتِك

Series 561 Arabic
